

ان الشعر الجاهلي شعر واقعي استمد مادته من الحياه الجاهليه واسطاع ان يصور بيئته تصويرا دقيقاً لم يترك الشاعر الجاهلي شيئاً وقعت عليه حواسه الا نقله الى شعره (لم يكن يفرض ارادته الفنيه على الاحاسيس والاشياء بل كان يحاول نقلها الى لواحاته نقلاً اميناً). (1)

وهذه النزعة الواقعية جعلته لا يحلل خواطره ولا يعرف التغلل في خفايا النفس الانسانيه ولا في اعماق الاشياء الحسيه مما جعل معظم الشعر الجاهلي يصلح ان يكون وثيقه تاريخيه يعتمد عليها الدارسون للمجتمع الجاهلي ويمكننا ان نلمس هذه الواقعية في الشعر الجاهلي وما نجم عنها من ضيق دائره المعاني الشعريه فقد اخذ الشعراء الجاهليون - في كثير من الاحيان- يرددون معاني تكاد تكون واحده، (2) فما قاله طرفه بن العبد في وصف الديار قاله غيره من شعراء الجاهليه بل الوشم الذي يضرب على ظاهر الي فيقول طرفه بن العبد
لخوله اطلال ببوقه ثمهدي
ومثله قول زهير بن ابي سلمى:-

مراجيع وشففي نواشر معصم (4)

ودار لها بالرقمتين كأنها
وقولو لبيد بن ربيعه العامري:-

كَلَّتْ عَرَضُ فَوْقَهُنَّ وَشَامَهَا (5)

او رجع واشمه اسف نورها
وبلغت الواقعية في الشعر الجاهلي شأواً كبيراً عندما عمد الشاعر الجاهلي الى تجسيد الاشياء المعنويه بصور واقعيه مثل الحلم والكرم والشجاعه والظلم والمروءه وغيرها . فهذا الشاعر لبيد بن ربيعه العامري عبر عن سغ حلم قومه بصورة ماديه هي صورته الجبال العاليه (6) فقال

نجب وفرع ماجد واروم (7)

ولهم حلوم لكالجبال وساده
ويمكننا ان نلمس براعه الشاعر الجاهلي في نقل الصور الواقعيه النابضه بالحياه في تصويره بعض القبائل وهي تستعد لتهيئه مستلزمات حوض معركه ضد خصومهم من القبائل الاخرى ، فقد نقل لنا الشاعر عبيد بن الابرص ماتخلل جمعهم من ضوضاء تداخلت في اصوات القوم مع سهيل خيولهم ورجاء ابلهم فقال:-

اصحوا اصبحت لهم ضوضاء

اجمعوا امرهم عشاء فلما

خيل خلال ذاك رغاء (9)

من مناد ومن مجيب ومن تصهال

وقد نجم عن الايغال في الواقعيه الى انحسار الخيال في الشعر الجاهلي وبروز النزعه التقريرية في شعرهم ويمكننا ان نلمسها في معظم الشعر الجاهلي وتبدو واضحه في قول امرئ القيس وهو يصف لنا مغامرته الغزليه فيقول:-

فقال لك الويلات انك مرجلي

ويوم دخلت الخدر خدر عنيزة

عقرت بعيني يا امرأ القيس فانزل (10)

تقول وقد مال الغبيط بنا معاً

ونجد النزعه التقريرية واضحه في كثير من اشعار النابغه الذبياني ومنها هذه الابيات التي شبه ناقته بلبققر الوحشي الذي كان يرعى وحيداً في ظروف جويه قاسيه وفي هذه الاثنا اذا بصياد يبيت عليه كلاب الصيد فسقطاع الثور ان يجهز على احد كلاب الصيد بطعنة قاتلة فأرداه قتيلاً مما جعل الكلب الثاني يفكر بعمق ورويه قبل ان يقيم على مهاجمة الثور ويلقى المصير ذاته الذي لقيه قرينه وفي ذلك يقول:-

ولا سبيل الى عقل ولا قول (11)

لما رأى واشق اقعاص صاحبه

وان مولاك لم يسلم ولم يصد

قالت له النفس اني لا أرى طمعاً

فضلا على الناس في الادنى وفي البعد

فتلك تبلغني النعمان ان له

وتبدو الظاهره التقريرية والنثريه واضحه في هذه النصوص الشعريه تقرب كثيراً من النثر ولا تختلف عنه سوى بللوزن والقافيه اذ تتسم بللوضوح والانكشاف ومعظم الشعر الجاهلي على هذه الشاكلة يميل الى البساطه والوضوح في التعبير ولما يعتمد الى التعمق في الاشياء فللشاعر الجاهلي لا يطلق العنان لمخيلته ولم يذهب بعيداً في خياله فان الصور الشعريه في معظمها تعرى بتصوير الموصوف في شكله الخارجي وقل ماتعري بللتعمق في جوهر الاشياء والكشف عن اسرارها وحقائقها الخفيه او ان تتعمق هذه الصور في النفس الانسانيه وتحلل خواطرها ومشاعرها او تقوم بتصوير تلك المشاعر والاحاسيس وانما في الغالب تقف عند حدود الصوره الخارجيه التي تتركها الحواس ومعظم هذه الاخيله تقوم على التشبيهات الحسيه او المعنويه قريباً ومفهومة استوحاها الشاعر من بيئته اضافة الى استعارات تصريحيه ومكنيه وكنايات لاتحتاج الى جهد كبير في تأملها وتحليلها ونذوقها ويبدو ذلك واضحاً في شعر الاعشى وهو يشبه مشي حبيبه وهي تتبختر في مشيتها بمشيه الحيوان الذي يعاني من الم في جافره وهو يسير في ارض موحق فهي مشي متأنقي تضي على حبيبه جمالاً فوق جمالها في النواحي الاخرى التي ذكرها فيقول:-

تمشي الهويها كما يمشي الوجي الهل (12)

غراء فرعاء مصقول عوارضها

واستمد عنتر بن شداد صورته طريفه من الروض شبه فيه الذباب الغرد وهو يطنطن في الرياض طرباً بشارب الخمره الذي بلغ حداً من النشوه والسكر اصبح معها لا يقوى على الوقوف والمسير فيأخذ يمنه ويسره في تمايله وهو يغني معيراً عن نشوته وكذلك الذباب يترنح طائراً بين الرياض فيقول:-

هزج كفعل الشارب المترنح (13)

فترى الذباب بها يغني وحده

